

هَنِيَّعِل



حملات هنيبعل
العسكرية

المانيا

النمسا

ليوغوسلافيا

بياسيترا

معركة
تريبيا

معركة بحيرة
تراسيميت

روما

معركة
كانيه
(كانوسا)

تيرينثوم
(تيرنتو)

ساغونتوم
(ساغنتو)

البحر المتوسط

قرطاجنة
الجديدة
(قرطاجنة)

قرطاجنة
(تونس)

معركة
زاما

شمال افريقيا

أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ عَنْ هَنِيْعَلٍ سِوَى أَنَّهُ ذَاكَ الرَّجُلُ الَّذِي عَبَرَ جِبَالَ
الْأَلْبِ بِعَدَدٍ مِنَ الْفِيلَةِ. غَيْرَ أَنَّكَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ سَتَجِدُهُ الْقَائِدَ الْعَسْكَرِيَّ
الْمُحَنِّكَ الْمِعْوَارَ الَّذِي كَادَ أَنْ يُرْكَعَ رُومًا وَفَاءً بِقَسَمِ عِدَاوَتِهِ الْأَزَلِّيَّةِ لَهَا.

هَنِيْعَلُ

مُؤَلَّفٌ: ل. دُوغَارْدُ پِيْتَش
نَقْلُهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ: مُحَمَّدُ عَارِفُ الْاَكْحَل
وَضَعِ الرَّسْمَ: فِرَانْكَ هَمْفَرِيْس



© حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ ، ١٩٧٨

طُبِعَ فِي انْكَلْتَرَا

النَّاشِرُونَ:

لُونْعَمَات
هَارْلُو

لِيْدِيْرْدُ بُولُوكْ لِيْمْتَد
لَاْفِيُورُو

مَكْتَبَةُ لِيْنَان
بَيْرُوت

هَيْبَعْل

كَانَتْ مِصْرُ وَالْيُونَانُ وَرُومَا هِيَ الدُّوَلُ الثَّلَاثُ الْكُبْرَى الَّتِي أُرْسَتْ مِنْذُ أَمَدٍ
بَعِيدٍ أُسُسَ الْحَضَارَةِ كَمَا نَعْرِفُهَا الْيَوْمَ . وَكَانَتْ هَذِهِ الدُّوَلُ قَدْ تَعَلَّمَتْ بِدَوْرَهَا
مِنْ الْآخَرِينَ الَّذِينَ تَحَارَّيَتْ مَعَهُمْ وَتَاجَرَتْ . وَمِنْهُمْ الْفِينِيقِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ
الْجُرَافِ وَالْمَهَارَةِ بِحَيْثُ أَقْلَعُوا . وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ . بِمَرَائِكِهِمُ الصَّغِيرَةِ إِلَى بَحَارِ
مَجْهُولَةٍ وَرَاءَ مَضَائِقِ جَبَلِ طَارِقِ الَّتِي سَمَّاها الرُّومَانُ أَعْمِدَةَ هِرْقُلَ .

وَقَبْلَ أَنْ يَغْزُو يُولْيُوسُ قَيْصَرُ بَرِيطَانِيَا بِزَمَنِ بَعِيدٍ . عَبَرَ الْفِينِيقِيُّونَ إِلَى
« الْكَاسِيْتَرَايْدُس » . أَيْ جُزُرِ الْقَصْدِيرِ . وَهِيَ إِمَّا بَرِيطَانِيَا أَوْ السَّيْلِي (عِدَدٌ مِنْ
الْجُزُرِ الْوَاقِعَةِ جَنُوبَ غَرْبِ بَرِيطَانِيَا) . وَلَمَّا كَانُوا بِحَارَةِ فَقَدْ تَعَلَّمُوا الْإِقَادَةَ مِنْ
الْمَدِّ وَالْجُزُرِ اللَّذِينَ لَا وُجُودَ لَهُمَا فِي الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ . وَلَمَّا كَانُوا
تُجَّارًا فَقَدْ قَابَضُوا مَا عِنْدَهُمْ بِالْقَصْدِيرِ الَّذِي كَانَ يَنْدُرُ وُجُودَهُ فِي الشَّرْقِ .
وَدَّابَ الْفِينِيقِيُّونَ . كَسَائِرَ الْبَحَارَةِ التُّجَّارِ . عَلَى إِنْشَاءِ مَرَائِزِ تِجَارِيَّةٍ حَيْثُمَا
بَدَتْ الْفُرْصُ سَانِحَةً . فَكَانَتْ هَذِهِ الْمَرَائِزُ مُنْتَشِرَةً حَوْلَ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ
الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ . وَكَانَ أَحَدُهَا . وَهِيَ قَرْطَاجَةُ . قَدْ أُقِيمَ عَلَى سَاحِلِ إِفْرِيقِيَا
الشَّمَالِي . وَبَنَى قُرُونًا الْمَرْكَزَ التُّجَّارِيَّ الرَّئِيسَ لِلْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ . وَلِهَذَا
لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وَقُوعِ صِدَامٍ إِنْ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا بَيْنَ هَذَا الْمَرْكَزِ وَقُوَّةِ رُومَا
الْمُسْتَظْمَةِ .

تَعَمَّيدُ التَّجَارَةِ فِيهَا وَرَاءَ الْبَحَارِ عَلَى الْمِلَاحَةِ . وَسَلَامَتُهَا تَعَمَّيدُ عَلَى
السَّيْطَرَةِ عَلَى الْبَحَارِ . وَنَعْدُ أَنْ دَمَّرَ الْإِسْكَندَرُ الْأَكْبَرُ صُورَ سَنَةِ ٣٣٢ (قَبْلَ
الْمِيلَادِ) انْتَقَلَتْ سَيَادَةُ الْبَحْرِ إِلَى قَرْطَاجَةِ .



أَنشَأَ الْفِينِيقِيُّونَ مَرْكَزَ قَرْطَاجَةَ التَّجَارِيَّ بَيْنَ ٩٠٠ و ٨٠٠ ق. م. . أي
قَبْلَ حَوَالِي الْقَرْنِ مِنْ تَأْسِيسِ رُومَا . وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ حِينَ أَصْبَحَتْ رُومَا مَكَانًا لَهُ
أَهْمِيَّتُهُ ، كَانَتْ قَرْطَاجَةُ الدَّوْلَةَ التَّجَارِيَّةَ وَالْبَحْرِيَّةَ الرَّئِيسَةَ فِي الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ
الْمُتَوَسِّطِ . وَعَلَى مَرِّ الزَّمَنِ اتَّضَحَ لِلْقَرْطَاجِيِّينَ أَنَّ أَهْلَ رُومَا الْأَشْدَاءَ قَدْ
يُضْبِحُونَ مُنَافِسِينَ خَطِيرِينَ لَهُمْ عَلَى تِجَارَةِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ .

وَتُفِيدُ أُسْطُورَةُ إِنْشَاءِ مَدِينَةِ قَرْطَاجَةَ أَنَّ عَدَدًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ صُورَ
مُنِحُوا الْحَقَّ فِي الْحُصُولِ عَلَى « رُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بَحْتُوبِهَا جِلْدُ ثُورٍ » . وَلَا شَكَّ
أَنَّ الْقَصْدَ كَانَ حِرْمَانِ أُولَئِكَ الْمُهَاجِرِينَ مِنَ الْأَرْضِ بِاسْتُلُوبِ سَاحِرٍ .

وَكَانَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ أَمِيرَةً صَمَّمَتْ عَلَى الْبَقَاءِ . فَأَمَرَتْ بِتَقْطِيعِ جِلْدِ
الثَّورِ شُرْطًا رَفِيعَةً كَرِبَاطِ الْحِذَاءِ . وَلَمَّا عُقِدَتْ هَذِهِ الشَّرْطُ مَعَ أَطْرَافِهَا
كَانَ طُولُهَا كَافِيًا لِنَطْوِيقِ ثَلَاثَةِ . وَعَلَى تِلْكَ الثَّلَاثَةِ شَبَدَ الْمُهَاجِرُونَ حِصْنًا . وَسَرَّعَانَ
مَا نَشَأَتْ حَوْلَ ذَلِكَ الْحِصْنِ مُسْتَوْنَةٌ عُرِفَتْ بِاسْمِ قَرْطَاجَةَ - وَهُوَ التَّحْرِيفُ
الْيُونَانِيُّ وَالرُّومَانِيُّ لِاسْمِ قَدِيمِ مَعْنَاهُ الْمَدِينَةُ الْجَدِيدَةُ .

كَانَ الْقَرْطَاجِيُّونَ بَحَّارَةً وَتِجَّارًا . وَلَمْ يَكُونُوا مَزَارِعِينَ . فَعَنِ طَرِيقِ التَّجَارَةِ
أَوْ الْغَزْوِ كَسَبُوا الْمَالَ لِشِرَاءِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ يَزْرَعُونَ الْأَرْضَ وَتَحْصُدُونَ غَلَّتِهَا
الْوَفِيرَةُ . وَبِمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَدْفَعُونَ لِلْعَبِيدِ أَجْرًا . وَكَانُوا يَبِيعُونَ الْحِنْطَةَ لِمَنْ
يَدْفَعُ أَعْلَى سِعَرٍ . فَإِنَّ أَرْبَاحَهُمْ كَانَتْ عَظِيمَةً جَدًّا .





وَيَبْرُزُ فِي الْمُجْتَمَعِ ، أحياناً ، أَناسٌ يَكُونُونَ أَقْدَرُ مِنْ سَائِرِ الْقَوْمِ وَأَشَدَّ .
ونقولُ عن هؤلاءِ النَّاسِ عادةً بأنَّهم زُعَمَاءُ بِالْفِطْرَةِ . وَقَدْ يُصْبِحُونَ رؤساءَ
دُولٍ ، أَوْ دِكْآتُورِينَ أَوْ مُسْتَشَارِينَ مُتَفَذِّينَ أَوْ قَادَةَ عُظَمَاءَ . وَفِي التَّارِيخِ
أُمُثْلُهُ عَدِيدَةٌ عَلَى اتِّقَالِ مِثْلِ هَذِهِ الْقُدْرَةِ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ .

وَتَحَدَّثُ وَالِدَ هِنَبِئِلَ ، هَمِيلْكَارَ بَارْكَا ، مِنْ أُسْرَةِ ذَاتِ جَاهٍ وَسُلْطَانٍ .
وَهَمِيلْكَارُ بَارْكَا نَفْسُهُ كَانَ قَائِداً مَشْهُوراً قَادَ بِنَجَاحٍ جَيْشاً ضِدَّ الرُّومَانِ فِي
صِفْلِيَّةَ سَنَةِ ٢٤٧ ق . م . كما أَنَّهُ قَمَعَ ، فِي مَا بَعْدَ ، تَمَرُّدَ جَمَاعَةٍ مِنْ جُنْدِيهِ
انْقَلَبُوا عَلَى قَرطَاجَةِ .

وقد وَلَدَ هِنَبِئِلُ (الَّذِي بَعَثَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُورَخِينَ أَكْثَمَ قَائِدٍ عَسْكَرِيٍّ فِي
التَّارِيخِ) فِي قَرطَاجَةِ عَلَى الْأَرْجَحِ حِوَالَى سَنَةِ ٢٤٩ ق . م . وعَاشَ حِوَالَى
سِتِينَ عَاماً ، إِذْ يُعْتَقَدُ أَنَّهُ تُوْفِيَ عَامَ ١٨٥ ق . م .

كَانَ هَمِيلْكَارُ بَارْكَا قَدْ عَقَدَ الْعَزَمَ عَلَى أَنْ يُصْبِحَ وَلَدُهُ مِثْلَهُ قَائِداً مُقْتَدِراً ،
فَاصْطَحَبَهُ وَهُوَ لَا يَزَالُ صَبِيّاً فِي الثَّلَاثَةِ مِنْ عُمرِهِ . إِلَى إِسْبَانِيَا حَيْثُ كَانَ
الْقَرطَاجِيُّونَ قَدْ أَنشَأُوا مُسْتَعْمَرَةً لَهُمْ . وَبَدَأَ تَدْرِيبُ الْقَائِدِ الْمُنْتَظَرِ لِلْجَيْشِ
الْقَرطَاجِيِّ فِي سِنٍ مُبَكَّرَةٍ . فَمَا أَنْ أَشْرَفَ هِنَبِئِلُ عَلَى الْعِشْرِينَ مِنْ عُمرِهِ حَتَّى
عُهِدَ إِلَيْهِ الْقِيَامُ بِعِدَّةٍ مُهِمَّاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ صَغِيرَةٍ بِإِشْرَافِ وَالِدِهِ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ .
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِشْرَافِ صِهرِهِ هَسْدَرْوَالِ الَّذِي تُوْفِيَ سَنَةَ ٢٢١ ق . م .
وَحِينَئِذٍ كَانَ هِنَبِئِلُ قَدْ أَصْبَحَ ضَابِطاً مُتَمَرِّساً .

إِنَّ التَّدْرِبَ الْعَسْكَرِيَّ الشَّامِلَ الَّذِي تَلْقَاهُ هِنَبَعْلُ عَلَى يَدِ وَالِدِهِ . كَانَ
لِغَايَةِ مُعَيَّنَةٍ . وَمُنْذُ أَنْ كَانَ هِنَبَعْلُ فِي التَّاسِعَةِ لَمْ تَعْبْ هَذِهِ الْغَايَةُ عَنْ بَالِهِ .
فَقَبِلَ ذَهَابَهُ إِلَى إسبانيا أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ عَهْدًا قَاطِعًا أَنْ يَحْقِيقَ دَوْمًا عَلَى رُومًا
وَالرُّومَانِيِّينَ . كَانَ هَمِيلْكَارُ بَارْكَا قَدْ عَقَدَ الْعَزْمَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْ أَيْتِهِ رَجُلًا
قَادِرًا عَلَى أَنْ يَسْتَحِرَّ فِي الْحَرْبِ ، إِذَا قُتِلَ هُوَ . وَأَنْ يَكْسِبَهَا . لِيَجْمَعَ رُومًا مِنْ
السَّيْطَرَةِ عَلَى الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمَتَوَسِّطِ .

وَمُنْذُ أَيَّامِ يُولْيُوسِ قَيْصَرٍ دَوَّجَ الْكَثِيرُ مِنَ الْقَادَةِ عَلَى تَذْوِينِ سِيرِ حَيَاتِهِمْ
وَأَشْهَرِ مَعَارِكِهِمْ . وَلِسَوْءِ الْحِظِّ كَانَ الْعَدِيدُ مِنْهُمْ عَسْكَرِيِّينَ قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا
كُتَّابًا . فَجَاءَتْ كُتُبُهُمْ مُمِلَّةٌ جِدًّا . أَمَّا يُولْيُوسُ قَيْصَرٌ فَقَدْ كَانَ أَسْتِشَاءَ .
فَبِالإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِهِ قَائِدًا عَسْكَرِيًّا بَارِزًا . كَانَ أَدِيبًا تَعْرِضُ لَنَا كُتُبُهُ صُورَةً
حَبِيبَةً عَنْ حَيَاتِهِ وَأَيَّامِهِ .

كَانَتْ عِبْرَتُهُ هِنَبَعْلُ الْعَسْكَرِيَّةُ تَفُوقُ عِبْرَتَهُ قَيْصَرٍ . فَهَلْ كَانَ ذَلِكَ
الْقَائِدُ أَدِيبًا مُسَاوِيًا لِقَيْصَرٍ ؟ هَذَا مَا لَنْ نَعْرِفَهُ . إِذْ لَمْ يَصِلْنَا شَيْءًا مِنْ كِتَابَاتِهِ .
وَلَكِنَّا نَعْلَمُ مِنْ شِهَادَةِ الْآخَرِينَ أَنَّهُ عَامِلٌ أَسْرَاهُ مُعَامَلَةً تَفْضُلُ مُعَامَلَةَ أَيِّ قَائِدٍ
رُومَانِيٍّ فِي زَمَانِهِ . وَأَنَّهُ كَانَ قَائِدًا ذَا عَزِيمَةٍ حَدِيدِيَّةٍ وَصَبْرٍ لَا يَنْقُذُ . وَفَوْقَ هَذَا
وَذَلِكَ كَانَ كُلُّ الَّذِينَ خَدَمُوا تَحْتَ إِمْرَتِهِ يَتَّقُونَ بِهِ وَيُطِيعُونَهُ ذُوئَهَا سُؤَالٍ .
وَمِنْ هُنَا يُمَكِّنُ الْإِفْتِرَاضُ بِأَنَّ هِنَبَعْلَ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِشَخْصِيَّةٍ آسِرَةٍ . وَهِيَ
صِفَةٌ نَادِرَةٌ ، بَلْ عَجَبِيَّةٌ . يَتَفَاعَلُ مَعَهَا النَّاسُ بِشَكْلِ غَرِيبٍ . كَمَا أَنَّهَا
الظَّاهِرَةُ الْمُمَيَّزَةُ لِمُعْظَمِ الْمُسْتَلِينَ وَالْخُطْبَاءِ النَّاجِحِينَ . وَعِنْدَمَا تُكُونُ الْخِزْيَةُ
الرَّئِيسِيَّةُ فِي خُلُقِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . فَإِنَّهَا تُؤَلِّدُ نَفُودًا طَاطِعًا إِمَّا لِلخَيْرِ أَوْ لِلشَّرِّ .



وَعِنْدَمَا أَغْتِيلَ هَسْدُرُوَالُ كَانَ هَنِيْعَلُ فِي السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عَمْرِهِ
تَقْرِيْبًا ، وَمَعَ أَنَّ تَارِيخَ مِيْلَادِ هَنِيْعَلِ غَيْرُ ثَابِتٍ فَانَ مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ سِنِهِ آنَذَاكَ ،
قَرِيبٌ جَدًّا مِنَ الصَّحْحَةِ . وَكَانَ كُلُّ مَنْ هَسْدُرُوَالُ وَهَنِيْعَلُ قَائِدًا يَحْطَى بِثِقَةِ
الْجَيْشِ وَوَلَائِهِ . أَمَّا هَنِيْعَلُ فَقَدْ نَشَأَ بَيْنَ الْجُنُودِ يُشَارِكُهُمُ الصَّعَابَ وَالْمَخَاطِرَ .
أَثْبَتَ أَنَّهُ مُقَاتِلٌ جَرِيءٌ وَقَائِدٌ مَاهِرٌ ، وَفَوْقَ هَذَا وَذَلِكَ كَانَ نِعَمَ الرَّفِيقِ . فَاعْتَبَرَهُ
رِجَالُهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَتَرَدَّدُوا إِطْلَاقًا فِي الثِّقَةِ بِهِ وَإِطَاعَتِهِ كَقَائِدٍ .
قَدْ تَقَرُّوا فِي كُتُبٍ مِنْ هَذِهِ السَّلْسِلَةِ عَنْ قَائِدَيْنِ شَابَّيْنِ نَاجِحَيْنِ آخَرَيْنِ هُمَا
الْإِسْكَندَرُ الْأَكْبَرُ الَّذِي أَجْتَازَ مَضِيقَ الدَّرْدَنِيلِ وَهُوَ فِي الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ عَلَى
رَأْسِ جَيْشٍ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ ، وَنَابُولْيُونُ الَّذِي قَادَ مَجْمُوعَةً
سَاحِطَةً مُفَكَّكَةً مِنْ سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ ضَاطِطٍ وَجُنْدِيٍّ عَلَى وَشَلِكِ التَّمَرُدِ .
فَوْقَ الثَّلَجِ وَالْجَلِيدِ عَبَرَ مَرَّاتٍ الْأَلْبَ إِلَى إِيطَالِيَا . إِلَّا أَنَّ لِكُلِّ مِنْهُمَا رَصِيدًا
غَيْرَ الشَّابِّ .

فَكَانَ جُنُودُ الْإِسْكَندَرِ يَتَّبِعُونَهُ بِكُلِّ تَفَانٍ أَلْفَ أَلْمِيَالٍ . وَكَانَتْ مَحَبَّةُ
جِيُوشِ نَابُولْيُونِ وَطَاعَتُهَا هُمَا الثَّلَاثَانِ أَوْحَتًا بِالْقَلْبِ الَّذِي أَطْلَقَتْهُ هَذِهِ الْجِيُوشُ
عَلَيْهِ وَهُوَ - الْعَرِيفُ الصَّغِيرُ .

لَا يَكْفِي أَنْ يَكُونَ الْقَائِدُ قَدِيرًا لِيَكْتَسِبَ تَفَانِي رِجَالِهِ . فَقَدْ تَعَلَّمَ الْإِسْكَندَرُ
مِنْ هُجُومِهِ عَلَى إِحْدَى الْمُدُنِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الْمَالِئِينَ ، وَتَعَلَّمَ نَابُولْيُونُ
عِنْدَ جِسْرِ لُودِي أَنَّ الضَّاطِطَ الَّذِي يَصِيحُ بِجُنُودِهِ « إِنْبَعُونِي » ، مَهْمَا كَانَتْ
رُبَّتُهُ . لَهُوَ أَفْضَلُ قَائِدًا مِنَ الْجِنَرَالِ الَّذِي يَصِيحُ بِجُنُودِهِ « تَقَدَّمُوا ! » . مَهْمَا
عَلَا صَوْتُهُ .

قُتِلَ هَسْدُرُوبَالُ وَهُوَ لَا يَزَالُ شَابًا نَسِيًّا. وَكَانَ قَدْ عَقَدَ مُعَاهِدَةً غَيْرَ مُوقَّعَةٍ
مَعَ رُومَا. وَتَمَّ الْأَتْفَاقُ بِمُوجِبِ هَذِهِ الْمُعَاهِدَةِ عَلَى أَنْ يَكُونَ نَهْرُ إِبْرُو الْحَدَّ
الشَّمَالِيَّ لِلْمُسْتَعْمَرَةِ الْقَرطَاجِيَّةِ فِي إِسبَانِيَا وَأَنْ تَبْقَى الْبِلَادُ إِلَى الشَّمَالِ مِنَ النَّهْرِ
تَحْتَ حُكْمِ رُومَا. إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ اسْتِثْنَاءً وَاحِدًا وَهُوَ أَنَّ مَدِينَةَ سَاغُنْتُومَ مَعَ
مَرَقِنَهَا إِلَى الْجَنُوبِ مِنْ إِبْرُو بَقِيَتْ رُومَانِيَّةً.

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى خَارِطَةِ إِسبَانِيَا نَرَى أَنَّ نَهْرَ إِبْرُو يَبْعُ مِنْ جِبَالِ كَتَاتَبْرَا عَلَى
بُعْدٍ حَوَالَى ثَمَانِينَ كِيلُومِتْرًا إِلَى الْجَنُوبِ مِنْ يِلْبَاوِ عَلَى السَّاحِلِ الشَّمَالِيِّ.
وَيَجْرِي بِاتِّجَاهِ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مَسَافَةً ٧٤٤ كِيلُومِتْرًا لِيَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ
الْمُتَوَسِّطِ. وَعَلَى مَسَافَةِ ١٤٤ كِيلُومِتْرًا تَقْرِبًا إِلَى الْجَنُوبِ مِنْ مَصَبِ إِبْرُو نَقَعَ
سَاغُنْتُومَ. وَمَعَ أَنَّ الْقِسْمَ الْأَكْبَرَ مِنْ إِسبَانِيَا بَقِيَ مُسْتَعْمَرَةً قَرطَاجِيَّةً. فَقَدْ كَانَ
فِي وَسْعِ الرُّومَانِ أَنْ يُنْزِلُوا إِلَى الْبَرِّ جَيْشًا غَازِيًا وَأَنْ يُعَزِّزُوهُ مَتَى شَآؤُوا
بِاسْتِعْمَالِهِمْ مَرَفَأً سَاغُنْتُومَ.

وَكَانَ هَمِيلْكَارُ بَارْكََا الَّذِي كَرِهَ رُومَا يُدْرِكُ هَذَا الْخَطَرَ وَمَا كَانَ لِيُوافِقَ أَبَدًا
عَلَى الْمُعَاهِدَةِ الَّتِي أَجْرَاهَا هَسْدُرُوبَالُ. وَبَرَّحَ أَنْ سَبَبَ تَضَمُّمِهِ عَلَى
اِحْتِلَالِ إِسبَانِيَا كَانَ الْأَسْتِعْدَادُ لِعَزْوِ شَمَالِ إِيطَالِيَا عَبْرَ جِبَالِ الْأَلْبِ. وَكَانَ
الْأُسْطُولُ الرُّومَانِيُّ قَدْ أَصْبَحَ أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنْ أُسْطُولِ قَرطَاجَةِ، فَاضْطُرَّ هَنِيْبَعْلُ
إِلَى اِحْتِلَالِ سَاغُنْتُومَ تَفَادِيًا لِحَظَرِ وُجُودِ جَيْشِ رُومَانِيٍّ فِي مُوَحْرَتِهِ.

وَبِهَذَا خَرَقَ الْمُعَاهِدَةَ الَّتِي عَقَدَهَا هَسْدُرُوبَالُ. وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ خِيَارٌ آخَرُ.
فَكَفَاعَتِهِ الْعَسْكَرِيَّةُ كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُعَرَّضَ نَفْسَهُ لَذَلِكَ الْمَازِقِ.





ضَرَبَ هِنِيْعَلُ الْحِصَارَ عَلَى سَاعُتُومَ فِي رَبيعِ سَنَةِ ٢١٩ ق. م. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اَعْتِرَاضَاتِ مَجْلِسِ الشُّيوخِ الرُّومَانِيِّ. وَتَعَدَّ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ سَقَطَتْ سَاعُتُومَ فِي يَدِيهِ، وَهَكَذَا زَالَ خَطَرُ انْخِرَاطِهِ فِي قِتَالٍ فِي الْمُوَحَّرَةِ.

وَنَحْنُ مِيَالُونُ إِلَى أَنَّ نُمَثِّلَ صُورَةَ رُومَا بِاعْتِبَارِهَا امْبِرَاطُورِيَّةَ الْقِيَاصَةِ الْقَوِيَّةِ. غَيْرَ أَنَّ رُومَا عَامَ ٢٠٠ ق. م. كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ تَمَامًا. إِنَّ هِنِيْعَلُ، عِنْدَمَا قَرَّرَ مُهَاجِمَةَ سَاعُتُومَ كَانَ يَتَحَدَّى عَدُوًّا يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ.

وَأَسْتَعْرِقَ اِخْتِلَالُ الْحِصْنِ وَالْمَرْفَأِ فِي سَاعُتُومَ وَقْتُاً أَكْثَرَ مِمَّا قَدَّرَهُ هِنِيْعَلُ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ السُّفْنَ الرُّومَانِيَّةَ كَانَتْ قَادِرَةً عَلَى إِمْدَادِ الْمَدِينَةِ بِخَرَابِ الْمُونِ وَالرُّجَالِ. وَعِنْدَمَا زَالَ خَطَرُ هَذَا الْجَيْبِ الرُّومَانِيِّ أَصْبَحَ فِي وَسْعِ هِنِيْعَلُ أَنْ يَرْحَفَ شِمَالاً بِحَرِّيَّةٍ.

سَبَقَ لِلرُّومَانِ أَنْ أُنْذِرُوا الْقَرَطَاجِيِّينَ بِأَنَّ الْهُجُومَ عَلَى سَاعُتُومَ سَيَكُونُ لَهُ عَوَاقِبُ وَخِيْمَةٌ. أَمَّا الْآنَ فَقَدْ أَصْرُوا عَلَى أَنْ يُسَلِّمَ لَهُمْ هِنِيْعَلُ أَسِيرًا مُقْبِداً بِالسَّلَاسِلِ، وَأَنْ تَعُودَ حَاصِنَةُ رُومَانِيَّةٍ إِلَى اِخْتِلَالِ مَرْفَأِ سَاعُتُومَ. وَقَدْ وَقَفَ الْمَبْعُوثُ الرُّومَانِيُّ إِلَى قَرَطَاجَةِ أَمَامَ مَجْلِسِ الشُّيوخِ الْقَرَطَاجِيِّ وَقَفَّةً تَعَجُّفٍ مُوجَّهًا إِلَيْهِ تَهْدِيدَهُ. فَكَانَ ذَلِكَ مَشْهَدًا مَثِيرًا. لَقَدْ صَاحَ بِقَوْلِهِ: «جِثَّكُمْ بِالسَّلَامِ أَوْ بِالْحَرْبِ. فَاخْتَارُوا!» فَاجَابَهُ الشُّيوخُ يَهْدُوهُ: «مَا تَخْتَارُهُ أَنْتَ؟». فَطَرَحَ السَّقْفِ عَنهُ عِبَاءَةَ السَّلَامِ الْبَيْضَاءَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى سَيْفِهِ وَصَاحَ: «هَذَا هُوَ رَدُّ رُومَا!»

تُجَدَّتْ لَهَا عَرَّ شَارِيحِ حَدُودِ قَاصِصَةٍ وَحَتِيرُ أَخِيهَا إِذْ كَانَتْ لَهُ
حَيَاةً هَمِيَّةً وَبَصْدُقُ هَدٍ عَنِ غُورِ قِصْرِ نَهْرِ زَوِيكُونِ عِنْدَمَا قَالَتْ مَا
كَانَ قَدْ كَانَ . . . يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ قَدَّمَ عَنِ مَرِّ لَا رُخُوعَ عَنَّا

وَعُورُ هَيْسَلِ نَهْرِ زَوِيكُونِ هَمِيَّةً مُنَاسِئَةً . وَقَدْ كَانَ هَدٍ نَهْرٌ خِلَافًا لِنَهْرِ
زَوِيكُونِ . مَحْمِيَّةً حَمِيَّةً قَوِيَّةً وَمَا نَ صُحِّحَ هَيْسَلُ عَنِ صِفَتِهِ الْأُخْرَى
حَتَّى دُرَتْ لَهُ سُبُوحُهُ بِمِثْلِ كَيْلُومِتْرٍ مِنَ الْأَرْضِ الشَّدِيدَةِ الْوُغُورَةِ
وَسُيُتَيْنِ مِنَ الْحَالِ فِي نَهْرِهِ وَأَلَاكٍ وَهَرُ زَوِيكُونِ . كَسَمَرُ الْخَصِصِ
لَا حَرَّ . بِمَرَّتَيْنِ هَاتَيْنِ سُسْتَيْنِ وَكَانَتْ طَرِيقُهُ . عَمَلِيَّةً . تَمَرُّ عِبْرَ أَرْضِ
نَقْطَتِهِ نَقْدِيلِ سُسْتِيَّةٍ كَمُعَادِيَةٍ مَعَ وَحُودِ حَامِيَّاتِ رُومَانِيَّةٍ فِي مَوْقِعِ رَيْسِيَّةٍ
وَلَا نَعْمَ عَنِ وَجْهِ تَحْقِيقِ طَرِيقِ لَتِي سَكَا هَيْسَلُ . وَحَتَّى فِي بَابِهَا
هَدِيَّةً فِي سَبْرِ مِنَ صَرُوصَةٍ عَنِ نَهْرِ زَوِيكُونِ رُومَانِيَّةً بِالْأَمْرِ الْبَسِيرِ وَلَكِنْ
تَحْبَلُ مَا كَانَ عَنِ الْخُودِ أَنْ يَلْقَاهُ فِي يَوْمِ هَيْسَلِ وَمَعَهُ عَرَبَاتٌ تَحْرُهَا
كُثِيرٌ وَفِيَّةٌ نَحْبِلُ تَمُورٍ . بِالْإِصَافَةِ فِي خَصْرٍ وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْهِ مِنْ حَارِبِ
قَبَائِلِ مُتَوَحِّشَةٍ تَرْمِيهِ بِالنُّصْحِ

وَكَانَ يَهْيَسَلُ نَحْضُ صَعْرَمَةٍ سَمَاءَ هَسْدَرُونَ . بَارِكُ . وَدَكَرَ أَنَّ صَهْرَهُ
نَدِي مَاتَ عِيَةً كَانَ سَمَاءَ بَصَا هَسْدَرُونَ . وَكَانَ هَسْدَرُونَ بَارِكُ كَذَلِكَ
صَابِغًا مُدْرِنًا . وَنَحْنُ أَنْ نَصَوِّرَ الْأَحْوَالَ عَاكِفِيْنِ عَنِ دَرَاةِ الْخَطِيطِ الَّتِي
وَضَعَهَا وَبَدَلَهَا هَمِيَّةً كَارِ خَدَاوَحَةً نَقْدِيلِ سَمَاءَ حَمِيَّةً هَسْكَرِيَّةً عَابَةً فِي
صُعُوبَةٍ وَكَانَ هَمِيَّةً كَارِ يَنْقُبُ هَسْدَرُونَ وَهَيْسَلُ بَارِكُ . سَمَاءَ الْأَسَدِ . . .
وَسَرَّعَ مَا تَنَاسَلَتْ كَانَتْ عَنِ صَوْبِ

بِأَصْعَابِ تَسِيرِ طَوِيلٍ مَعَ كَتَرِصٍ لِنَهْجِهِ الْمُسْتَعْرِ تَكِي لِشَيْ قَائِدٍ
دُونَ هَيْبَعْلٍ عَرِيْمَةٍ عَنْ عَائِيهِ . عَيْرَ أَنَّ هَيْبَعْلَ كَانَ قَدْ أَقْسَمَ يَمِينًا قَاطِعَةً بِأَنْ
يُوصِلَ حَمْنَةَ عَنَى رُومًا ، وَكَانَ يَعْتَقِدُ اعْتِقَادًا رَاسِحًا أَنَّ الْحِنْثَ بِهَذِهِ الْيَحْيَى
سُبُسْتُ كَارِثَةً .

وَكَانَ الْجَيْشُ الَّذِي تَحْتَ مَرْتَبِهِ سَبَا أَكْثَرَ لِلْقَلْقَلِ . فَرِحَالُهُ مَتَوَعُونَ أَحْسَا
وَالْوَبَا . فَمِنْ قُرَسَانِ نُوْمِيدِيَّيْنِ مِنْ إِمْرَقِيَا إِلَى عَالِيَيْنِ مِنْ إِسْبَانِيَا - لَعَاتُهُمْ
مُحْتَبِقَةٌ وَأَسَابِيَهُمْ فِي الْقِدَارِ مُتَدَوِّتَةٌ جَدًّا ، كَمَا أَنَّهُمْ مِنْ ثُلْدَانٍ يَنَاصِبُ بَعْضُهَا
بَعْضًا أَلْعَدَّةَ الْكَمْرِيرَةِ . فَكَانُوا يُحَارِبُونَ كَحُنُودٍ مُزْتَرِّقَةٍ . أَيْ فِي سَبِيلِ الْآخَرِ .
وَهُوَ ضَبِيلٌ جَدًّا . وَصَمَعٌ بِالْأَسْلَابِ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ إِذَا قُبِصَ لَهُمُ النَّصْرُ .

مَنْ سَاحِلِشُ الرُّومَانِيُّ فَكَانَ رَاحِدًا لِمَوْلَاهُ فِي مُعْطِيهِ مِنْ رِحَالٍ مَتَحَابِسِينَ
عِرْقًا وَلَعَةً وَفَوْقَ ذَلِكَ كَانُوا يُقَاتِلُونَ دِفْعًا عَنْ وَطَنِهِمْ بِسَالَةِ الْجُنُودِ الْمُدْرِبِينَ
وَوَلَاءِ أَمْوَصِيَيْنِ . فَكَانَتْ حُرُوبُ أَطْرَقَيْنِ صِرَاعًا بَيْنَ الْوُطَنِيَّةِ وَالطَّمَعِ .

وَلَمْ يَكُنْ هَيْبَعْلُ لَبِي سَعٍ مِنْ حَجَرَةِ الْعُسْكَرَةِ شَاوًا بَعْدًا لِيُسْقِطَ كُلَّ
هَدِيهِ الْأُمُورِ مِنْ حِسَابِهِ . فَقَدْ أَذْرَكَ أَنَّ أَكْثِيرَ مِنْ رِحَالِهِ . إِنْ لَمْ يَكُنْ
حَمِيْقُهُمْ . لَيْسُوا مُدْرِبِينَ . وَتَهُمْ يَسُوْ مُنْظَمِينَ تَنْظِيمًا حَسَنًا . وَلَمْ يَأْلَفُوا
الْأَنْصِطَاطَ . وَتَهُمْ يُحَارِبُونَ فِي سَبِيلِ دَوْعِ دُونَ دَوْعِ الرُّومَانِ رُسُوخًا .
وَبَعْدَ ذَلِكَ تَكُنْ عَلَى شَيْءٍ آخَرَ . فَقَدْ كَانَ حَبْشَةُ مُوَلَّغًا مِنْ رِحَابٍ . مَهْمَا نَكُنْ
كَرْهِيَّةً أَوْ حَبِيْبَةً بِالْآخَرِ . مُخْتَصِبِينَ كُلَّ إِخْلَاصٍ بِشَخْصِهِ وَهَذَا الْعَامِلُ هُوَ
الَّذِي يَخْضَعُ لِمُعَادَةِ مُحْتَبِقَةٍ كُلِّ لَاحْتِلَافٍ .

على فؤاد نجيش قصري ثدي يحض بلقده ان يعرف سلفا ما اذا
كان طريق عريضة ولحسور قوية الى حد يكفي لمرور دوابه و مدايبه
صحيحة. فدرس خريطة وصور مستقيمة من الخو وتقدير الحوايس.
ن وصور بني بتقطها سباح لمساح وشواطئ الصحريه.

ب فرص كهذه لا تكن متوفرة نهيل فالحوايس لا يكونوا مصدر
ثقة. ولم تكن هناك خريطة بطرق حيث لا وجود لبطرق. ولم يحضر سال
آخر ان من تمديد رسم خريطة لدروب بين قرية وأخرى. فالثقة من السكان
للمحبيين الذين كانوا يستخدمون هذه الدروب كانوا يتلغون مقاصدهم أو لا
يتلغونها. وكان الناس يفترضون أن الذين لم يصلوا ذهبوا فريسة الذئاب. ولو
أن مثل تلك الخريطة وجدت لما كان لها فائدة عملية.

لا يكن بهيكل صلبة حار دباب. بل فيه وعربات ثقيلة غير متقنة
تصنع تحرق مخبوعات من شرب. فكان حمله من المشاة والفرسان
وعربات تمويج يمشي ميلا وخيلهم يكون موقع قائد نجيش. لم يكن
استيعابه ان يعرف بقاء مد يحدث بحره من الخفيل على بعد عشرة
كيلومترات أو عشرين كيلومتر منه.

ولا شك أنه كان لدى هيكل ضابط فرسان يعدون على طول الخفيل
ينفذون أمره أو يروونه بأخبار أي هجوم وربما استعرقتهم العودة عبر
دروب الصحريه كمنقطة ساعات عدة. هذا تمكنوا من العودة. وقد
يتعدى على خيل أن يحار ممر حيد صيق شق على حاس شديد الانحدار

عَبَّرَ هَيْبَعْلُ نَهْرَ رُومَينَ وَحَرَّ شَهْرَ اَيَدَ (مايو) وَأَوَائِلَ شَهْرِ تَمُوزَ (يُولْيَة).
وَكَانَ مَعَهُ أَنْ يَحْتَارَ لَشَهْرَ دُودَ كَبِيرَ ضَعُوفَةٍ. عَيَّرَ أَنَّ الْقَتَائِلَ السَّلْتِيَّةَ. رَغِمَ
عَدَاوَتِهَا لِرُومَا. لَمْ تَكُنْ مُسْتَعِدَّةً لِتَرْحِيبِ حَيْشِ قَرَطَاجِيٍّ وَلَا شَكَّ أَنَّ
اِحْتِيَارَ هَدِيهِ لَعَقَةِ الْكَدِّ الْأَوَّلَى فِي مَسِيرَةِ طَوِيلَةٍ قَدْ عَلِمَتْ الْجَيْشَ
قَرَطَاجِيٍّ الْمُحْتَنِطَ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ.

وَمِنْ كَمِهِمْ حِينَ مُضَالَعَةِ حَمَلَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ. سَوَاءٌ فِي الرَّمَى الْقَدِيمِ أَوْ
الْحَدِيثِ. أَنْ تَنْتَعِ عَلَى الْحَارِطَةِ الصَّرِيقِ الَّتِي سَلَكْتُهَا الْحَمَلَةُ. وَإِذَا كَانَتْ
الْحَارِطَةُ عَلَى نَحْوِ يَضْهُرِ تَضَرَّسَ الْبِلَادِ مِنْ أَنْهَارٍ وَجِبَالٍ وَسُهُولٍ بِالْأَلْوَانِ.
مَكَرَ نَصُورٌ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْحَا مُدُّ أَكْثَرِ مِنَ الْفِي سَنَةٍ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ. فِي
ذَلِكَ الْعَصْرِ. طُرُقُ مُعَدَّةٍ وَسَبْكُ حَدِيدِيَّةٍ وَمَدُنٌ وَمَطَارَاتٌ غَيْرُ أَنَّ الْجِبَالَ
وَالْأَنْهَارَ هِيَ نَفْسُهَا لَمْ تَتَغَيَّرَ.

وَإِذَا تَدَوَّنَا أَيُّ قَصِيرٍ فَإِنَّهُ يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّهُ كَلَّمَا اقْتَرَبَ هَيْبَعْلُ مِنْ أَسَاحِلِ
زَادَتْ صَرِيْقُهُ سَهْوَةً. فَجِبَالُ أَبِيرِيْنِه لَيْسَتْ بِإِرْتِفَاعِ حِجَالِ الْأَلْبِ وَلَيْسَتْ
بِصَعُوبَتِهَا عِنْدَ لَاجِنِيْدِرَ. وَمِنْ طَبِيعِيٍّ أَنْ يَسْتَلِكَ هَيْبَعْلُ أَسْهَلَ السَّبِيلِ
وَإِذَا تَتَبَعْنَا عَلَى الْخَارِطَةِ مَرَّ الْخَطِّ الْحَدِيدِيِّ بَيْنَ طَرَطُوشَةِ فِي إِسْبَابَا
وَبِيرِيْسَا فِي فَرَنْسَا. فَمِنْ الْمُرَحِّحِ أَنْ لَا نَكُونَ بِعِيدَيْنِ جَدًّا عَنْ حَطِّ سَيْرِ
هَيْبَعْلٍ وَفِيَايِهِ. وَمَعَ أَنْ لَا قِيَارَ تَكُونُ مُفِيدَةً جَدًّا فِي غَايِبِ الْأَحْيَانِ. فَلَا بُدَّ
مِنْ أَنْ يَكُونَ هَيْبَعْلُ قَدْ نَعَى حَبَانًا لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَحْلُبْهَا مَعَهُ. وَلَوْ سَأَلْنَا أَيَّاكَانَ
عَمَّا يَعْرِفُ عَنْ هَيْبَعْلٍ لَكَانَ جَوَابُهُ عَلَى الْأَرَحِجِ أَنَّهُ ذَاكَ الَّذِي عَبَّرَ حِبَانَ
الْأَلْبِ بِعَدَدٍ مِنَ الْفِيلَةِ.

بِأَرْضِ الْمُتَنَدَّةِ مِنْ نَهْرٍ يَبْرُو إِلَى جِبَالِ الْبِيرَةِ لَيْسَتْ صَعَةً جَدًّا
عَلَى حَيْشٍ يَرِيدُ تَعْدُّهُ عَلَى مِئَةِ ثَمَرٍ رَجُلٍ . مِنْهُمُ حَوَانِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا مِنْ
أَقْرَسَاتٍ فِيهِ أَرْضٌ مِنْ نَوْعِ الْقَوَّةِ وَمِنْ الْأَعْمَارِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا أَيُّ حَيْشٍ
حَتَّى فِي يَوْمِ الْحَصْرِ . تَصِيفُ نَظْرِي عَرَّ الْأَرْضِ الْوَعْرَةِ وَفِي هَذَا
الْمَحَارِبِ بَدَنَاتٍ وَحَدَّ هَيْسَعُلُ قُوَّةَ الْأَقْيَالِ مُبِيدَةً حَدًّا فَقَدْ أَرَأَيْتَ الْحِجَارَةَ
الْكَبِيرَةَ وَالْأَشْحَارَ السَّاقِطَةَ الَّتِي كَانَتْ تُسَدُّ طَرِيقَ الْعَرَبَاتِ الَّتِي تَحْرُهَا الثَّيْرَانِ .
كَمْ أَنَّ الْأَقْيَالِ كَانَتْ تَسْتَبِيرُ الْعَرَبَاتِ إِذَا مَا عُلِقَتْ فِي أَوْحَالِ الْمُسْتَقْفَاتِ
وَعَمِيزَتِ لَثِيرَانِ عَنْ سَحْبِهِ .

وَكَانَ أَمْلُ هَيْسَعُلُ أَنْ لَا يَخْشَى رَحْلًا أَوْ وَقْفًا قَلِيلَ وَضُولِهِ إِلَى حَاجِرِ جِبَالِ
الْأَلْبِ . إِلَّا أَنَّهُ نَحَعَ نَجَاحًا جَزِيئًا فِي ذَلِكَ . فَقَدْ اسْتَطَاعَ اسْتِمَالَةَ بَعْضِ
الْقَائِلِ لَتِي صَادَفَهَا عَنْ طَرِيقِ الْإِقَاعِ أَوْ الرُّشُوقِ لِنَسْمَحِ لِحَيْشِهِ بِالْمُرُورِ . عِزَّ
أَنْ بَعْضَهَا الْآخِرَ عَمَدًا إِلَى مَا نُسَمِّيهِ الْيَوْمَ بِحَرْبِ الْعَصَابَاتِ وَلَمُعَالَجَةِ هَذِهِ
الْقَبَائِلِ وَلَنَّا كُنَّا مِنْ سَبَبِ الْأَمْرِ فِي الْمَنْطِقِ الَّتِي بَنَرُكُهَا هَيْسَعُلُ وَرَاءَهُ .
فَرَّرَ قُوَّةً مِنْ قُرْبَةِ عَشْرَةِ آلَافٍ رَجُلٍ لِهَذَا الْعَرَضِ .

وَبَرَّحْتُ أَنْ لَجَحْفَلُ كَعَارِي الطَّوِيلِ السَّطِيءِ وَالْمَكْشُوفِ الْجَوَانِبِ قَدْ
خَذَرَ سَفُوحَ الْبِيرَةِ مِنْ مَمَرٍ يُعْرَفُ بِأَسْمِ كُولِ دِي بَانُولِ . وَلَيْسَ مِنْ سَبِيلِ
يَتَّكِدُ مِنْ نَظْرِي الَّذِي سَكَّهُ هَيْسَعُلُ . وَكَيِّنَ لَا نَدَّ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَرْغَبُ فِي
نَقْدِ قُرْبِ السَّحْلِ قَدَرِ الْمُسْتَطَاعِ . وَيَوْمَ تَمَرُ تَحْطُوطُ الْحَدِيدِيَّةِ عَرَّ
لَأَنَاقٍ فِي الْحِمَالِ . أَمَّا هَيْسَعُلُ فَكَانَ مُضْطَرًّا لِلْمُرُورِ فَوْقَ الْقَمَمِ أَوْ عَرَّ
أَعْدُورٍ تَصْخَرِيَّةٍ .



وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ أَرْسَلَ الرُّومَانُ أَسْطُولًا بِقِيَادَةِ بُولْيُوسِ سِيبُولِغَرُو إِسْبَانِيَا .
وَكَانَ الْقَصْدُ لَا تَصَالِ بِجَيْشِ رُومَانِيٍّ آخَرَ يَعْْبُرُ الْبِلَادَ مِنْ إِفْرِيقِيَا . وَعَلَى طَرِيقِ
السَّاحِلِ الْمَرْسِيِّ الطَّوِيلِ تَوَقَّفَ سِيبُولُ فِي مَرْسِيلِيَا لِيُطَّلِعَ عَلَى مَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ
عَنِ الْحَيْشِ لِقَرطَاجِيٍّ نَغَرِي . وَقَدْ دُهِلَ حِينَ عَلِمَ أَنَّ هَيْبَعْلَ قَدْ وَصَلَ مِنْذُ
مُدَّةٍ إِلَى الرُّومِ .

أَمَّا هَيْبَعْلُ فَلَمْ يُصِغْ وَقْتُ . وَقَدْ أَدْرَكَ قِيَمَةَ الْمُبَاعَةِ ، كَمَا أَدْرَكَهَا نَابُولِيُونُ
بَعْدَهُ بِالْفِي سَةِ . فَحَثَّ الْخُطَى إِلَى أَنْ وَصَلَ وَادِي الرُّومِ وَقَطَعَ النَّهْرَ وَتَقَدَّمَ
شَمَالًا قَدْ أَنْ يُرِلَ سِيبُولُ إِلَى الرُّحْدَةِ الَّذِينَ أَصَابَهُمْ دَوَارُ الْبَحْرِ . إِلَّا أَنَّ
سِيبُولَ قَرَّرَ التَّحَرُّكَ بِسُرْعَةٍ . وَلَفَى لَغْزَوَةَ الْمُفْتَرَحَةِ لِإِسْبَانِيَا ، وَجَعَلَ مُهِمَّتَهُ
الْأُولَى الْعُثُورَ عَلَى حَيْشِ هَيْبَعْلَ وَتَذْمِيرَهُ .

أَمَّا مِنْ آيَةٍ نُقْطَةُ قَصَعِ هَيْبَعْلَ نَهْرَ الرُّومِ ، فَلَا نَذْرِي . وَلَكِنْ يُرْجَحُ أَنَّهَا
حَيْثُ الْمِيَاهُ ضَخْمَةٌ نَسْبًا فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَرْبَعٍ . وَلَوْ أَنَّهُ تَحَوَّلَ عَنِ السَّاحِلِ كَمَا يَنْجِبُ
الْمُسْتَنْقَعَاتِ وَالْبَحِيرَاتِ سَالِحَةً بَيْنَ سِيْتِ وَمَصَبِ الرُّومِ . لَمَّا اتَّبَعَ الطَّرِيقَ
الْأَقْصَرَ فَحَسِبُ . بَلْ وَلَسَتْ لُصْفَةُ نَعْرِيَّةِ للرُّومِ الْأَصْغَرِ عَوَصًا عَنْ قَطْعِهِ .
وَوَجَدَ نَفْسَهُ حَيْثُ يَتَفَرَّغُ الرُّومُ .

وَبِأَنَّ كَانَتْ نَقْطَةُ خُتْيَارِهِ . فَإِنَّ نَغَالِيْسَ الْمَحْتَشِينَ عَلَى الْضَفَّةِ الْأُخْرَى
كَانُوا مُصَمِّمِينَ عَلَى صَدِّ الْعُثُورِ . وَزَيْمًا كَانَ فِي وَسْعِ قَاعِلَةٍ مِنْ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ
فِيلاً مُنْدَفِعًا نَحْوَ الْبَرِّ أَنْ تُنْقِي الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّ أَفْيَالًا تُحَاوِلُ التَّنَزُّولَ
إِلَى النِّرِّ فَوْقَ طَوَافَاتِ يَصْفُهَا عَارِقٌ تَحْتَ الْمَاءِ . شَيْءٌ آخَرٌ مُخْتَلِفٌ . كَمَا أَنَّ
الْفَرَسَانَ التُّومِيدِيِّينَ كَانُوا فِي وَضْعٍ سَيِّئٍ .



وَنَهْ يَسْتَجِفُّ هَيْبَعْلُ بَصُغُوَّةَ قَصْعٍ نَهْرٍ يَزِيدُ عَرْضُهُ عَلَى كِيلُومِتْرٍ وَنِصْفٍ
كِيلُومِتْرًا. رَعْمُ الْإِذْنِ حَيْثُ كَانَ حِينَئِذٍ قَدْ تَنَاقَضَ عَدَدُهُ إِلَى نَحْوِ سِتِّينَ أَلْفًا
رَحْلًا. مَا نَسَكَّدَ عَلَى جَنَبِي سَهْرٍ فَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبِيلَةِ فُولَكِيهِ الْعَالِيَةِ
الْمُحَارِبَةِ. عَيْرٌ لَنْ سَكَّدَ نَصْفَةَ لَعْرِيَّةٍ زِدُّوا الْقَدَّ عَلَى الْحَيَادِ. بَلَى إِنَّهُمْ
سَاعَدُوا يَسَاءَ تَطَوُّفَاتٍ مِنْ حُدُودِ الْأَشْجَارِ عَنْ صَرِيحٍ رَتْبِهَا مَعًا. وَيَتَّبِعُهُم
هَيْبَعْلُ بِسَعَرٍ مُعْرِبَةٍ قُورَبَ صَيْدٍ تَسْمُكُ أَنْصَعِيرَةٍ.

وَحَالَالَ يَوْمَيْنِ تَدِيرُ قَصَاهُمَا هَيْبَعْلُ فِي هَذِهِ التَّخَصُّصَاتِ الْضَّرُورِيَّةِ.
كَانَتْ قَبِيلَةُ فُولَكِيهِ لِمُعَادِيَةِ عَلَى نَصْفَةِ الْبَعِيدَةِ مِنَ السَّهْرِ. وَالَّتِي لَمْ يَسْمَحْ
لَأَفْرَدِهِمْ بِقُورَبِ رَشْوَةٍ. مَا رَأَتْ تَشْتَدُّ بِمَا سَيَلَا قِيَدَ أَيِّ قَرَّطَاحِيٍّ يُحَاوِلُ
تَعْبُورَ مَا هَيْبَعْلُ قَدْ بَرَّكَ الْأُمُورَ نَحْرِي فِي أُعْيَتِهَا. فَأَوْفَدَ عَشْرَةَ آلَافٍ رَحْلًا
يَتَعَبَّرُونَ مِنْ أَعْنَى السَّهْرِ بَعِيدٍ عَنْ عَيْنِ فُولَكِيهِ وَفَجَاءَ وَجَدَ الْعَالِيُونَ أَنْفُسَهُمْ
عَرْضُهُ يَهْجُومُ الْأُفُوفَ مِنْ مُقَاتِلِينَ أَشِدَّاءَ مُسْتَحْيِينَ أَحْسَنَ تَسْلِيحٍ يَكْرُونَ عَلَى
جَنَاحِهِمْ. فِي حِينٍ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ مُجَانَّةً رَحْبَ مَسَلِينَ وَعَلَى وَشَكِّ الْعَرَقِ
وَهُمْ يَتَرَفَّعُونَ مِنْ أَعْنَى ضَفَةِ السَّهْرِ. وَهَذَا فَرَّ رَحْلًا الْفُولَكِيَّةِ

وَهَكَذَا سَتَصْعَقُ هَيْبَعْلُ تَعْبُورَ دُونِ مُقَارَصَةٍ وَتُؤَكِّدُ هَذَا أَدْنَى
مُقَارَصَةٍ لَا تَسْتَحَالُ عَلَيْهِ مَهْمَةٌ تَقْلُ عَرَبَاتِهِ ثَقِيلَةً مَعَ ثِيَابِهَا عَبْرَ نَهْرٍ حَارٍ يَزِيدُ
عَرْضُهُ عَلَى كِيلُومِتْرٍ وَنِصْفٍ كِيلُومِتْرٍ مَعْرُوضًا عَنْ أَرْمَاحِ الْمُعَادِيَةِ، اسْتَقْلَلَتْهُ
هُوَ وَرَحَالُهُ يَدٍ صَدِيقَةٍ مُعِينَةٍ

وَمَا لَنْ عَبْرَ رَحَالَهُ وَحَيَوَاتِهِ السَّهْرِ. حَتَّى تَوَحَّهَ هَيْبَعْلُ شِمَالًا وَرُتَمَا كَانَ
قَدْ عَنِمَ أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ سَيْبَهُ قَدْ أَزَالَ فِعْلًا فَيَنْقُضُ مِنْ رَحَالِهِ فِي مَرَسِيلِيَا

كَانَ شَهْرُ تَشْرِينَ الْأَوَّلِ (الْكَوْبَرِ) قَدْ حَلَّ . وَمَصَّتْ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ عَلَى عَوْدِ
نَهْرٍ رَوٍ ، وَلَا يَرَاهُ نَيْلُ هَيْبَعْلَ وَشَمَارٍ يَطَالِيَا الْحَاجِزَ الطَّبِيعِيَّ الْهَائِلَ وَهُوَ جِبَالُ
الْأَلْبِ . وَلَمْ تَكُنْ الْمَمَرَاتُ امْتُمْكِنُ عَوْرُهَا أَنْ تُسَدَّ بِالشُّوَجِ . وَلَمْ يَكُنْ فِي
وُسْعِ هَيْبَعْلَ اتِّبَاعُ حُيُوبِ النِّصْفِ . فَحَيْدَاكَ تَكُونُ الْقِيَالِيُّ الرُّومَانِيَّةُ تَقُومُ
بِجَرَسَةِ تَرْوَبٍ فِي نَسْهَوٍ . وَكَانَ هَيْبَعْلُ . شِدَّةً شَانُ نَابُولِيُونِ . يَكْسِبُ
مَعَارِكَ بِهَيُحُومٍ مُبَاغِتٍ عَلَى تَعْدُو حِينَ لَا يَتَوَقَّعُهُ . وَلَمْ يَحْطَرِ بِأَلِ الرُّومَانِ
أَنَّ فِي مُنْصَعَةٍ حَيْثُ عَوْرَ مَمَرَاتٍ الْأَلْبِ قَتَلَ أَنْ يَدْبِ الرَّبِيعُ ثُلُوحَ الشِّتَاءِ
تَعْدًا نَحْيَ سَةِ مِنْ هَيْبَعْلَ . وَحَةَ نَابُولِيُونِ هَدِيهِ أَنْطُرُوفَ نَفْسَهَا . وَكَانَ هُوَ
لَا حَرَّ بِقُوْدٍ حَيْثَا إِلَى إِيطَالِيَا فَوْقَ جِبَالِ الْأَلْبِ ائْتَمَكُسُوهُ بِالشُّوَجِ . أَلْفَا سَةِ لَمْ
تُحْدِثْ سِوَى تَخْلَافٍ قَبِيْرٍ . كَتَبَ نَابُولِيُونُ يَقُولُ : « إِنَّا نَصَارِعُ الْحَلِيدَ وَاللُّثَجَ
وَالْأَوْدَ وَالْأَنْهَارَاتِ شُجْبَةً ! » عَلَى الْأَقْلَ عَرَفَ نَابُولِيُونُ أَنَّ كَانَ الْمَمَرُ .
وَأَنَّ شُحَارَ كَانُوا يَسْكُونُهُ بِدَوْنِهِمْ ضَوَانَ فَضَلِ النِّصْفِ .

عَبَّرَ نَابُولِيُونُ مَمَرًا سَادَ بَرْدًا كَبِيرًا . وَهُوَ أَعَدَّ شِمَالًا بِكَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي
عَبَّرَهُ هَيْبَعْلُ إِلَى يَطْلِبِ . وَكَانَ حَاجَةً لِيَوْمٍ إِلَى عَوْدِ هَذَا الْمَمَرِ إِلَّا إِذَا كُنَّا
رُغْبُ فِي دَبْتُ . فَإِنَّ أَنْ نَصِيرَ نَافِ لَأَمْتَرِ قُوْفَةٍ . أَوْ سَافِرٍ بِالْفِطَارِ نَحْنُهُ
وَفِي كَلَا تَحَايِي شَعْرًا بِالدَّفْنِ وَتَرْحَةً . غَيْرَ أَنَّ كَلَّا مِنْ نَابُولِيُونِ وَهَيْبَعْلَ كَانَ
مَقْرُورًا وَمُتَنَلًّا وَحَدِيدًا وَمَهُوكًا . بِذَلِكَ كَبِيرِهِمْ كَانَ مُسْتَعِدًّا لِمُشَارَكَةِ رِحَابِهِ كُلِّ
هَدِيٍّ تَمَشَقَاتٍ . لَأَمْرٍ تَدِي أُنْكُسَهُ تَقْدِي جَيْشِهِ

وَفِي مَمَرٍ صَعْبٍ صَبَّيْ حَدَّ هَيْبَعْلُ الْقَبَائِلَ الْمُعَادِيَةَ بِحِينَةٍ قَدِيمَةٍ حَدَّ .
بِذَلِكَ تَرَى بِيْرَ تَحْمَسُكِرَ مُشْتَعِبَةً تَعْدًا أَنْ عَادَرَهُ حَيْشُهُ



لَمْ يَكُنْ هَيْبَعْلُ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مَعْرِتِ جِبَالِ الْأَلْبِ . كَمَا كَانَتْ قَبْلَ
لَفِي سَنَةٍ فَكَانَ مُضْطَرًّا إِلَى الْأَعْيَادِ عَلَى مُرْشِدِينَ قَدَمَهُمُ الْعَالِيُونَ الْمُحَلِّثُونَ .
وَعَدِيدًا مَا كَانُوا حَوَّةً وَعِدَائِيَّينَ

وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ تَكْتُلُ الصَّحْرَاءُ نَهَارًا مِنَ الْأَعَالِي تَسُدُّ الشُّعَابَ
وَالْأَحَادِيدَ الضَّيِّقَةَ . وَنَحْتَاخُ مَهْدِسُ الطَّرِيقِ فِي أَيَّامِنَا هُدًى إِلَى جَرَّافَاتِ
وَمُنْتَصِرَاتِ قُوَّةٍ لِإِرَائَتِهَا . وَلَمْ يَكُنْ لَدَى هَيْبَعْلَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَحِينَ كَانَ
مِنَ الصَّرُورِيِّ إِرَالَةً هُدًى لِكَثْرِ التَّوَسُّعِ الدَّرْبِ . كَانَ رِجَالُهُ يُشْعِلُونَ النَّارَ
تَحْتَهُ . وَمَتَى حَمِيَّ نَصْحَرُ صَبُّوا عَلَيْهِ النَّيِّدَ الْمُحَلِّلَ الْبَارِدَ . وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ
يَنْصَدِّعُ أَصْصَبُ الْحِجَارَةِ ثُمَّ يَقْطَعُ وَيُقَسِّمُ مِنْ مَكَانِهِ .

وَلَا فَيَدُنْ نَحْدَجُ فِي كَمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأَكْلِ . وَكَانَتْ أَقْلُ قُدْرَةٍ عَلَى تَحْمِلِ
اجْوَعٍ مِنْ لُرْجَانٍ . وَلَمْ تَكُنْ قَدْ أَلْفَتِ التَّرْدَ وَهِيَ تَكْرَهُ الْمَمَرَاتِ الضَّيِّقَةَ
تَمْعَصَةً بِالْجَيْدِ وَشَجَرٍ . وَكَمْ نَدَهْوَرُ مِنْ عَرَبَاتٍ وَثِرَانٍ مِنْ فَوْقِ الْأَحَادِيدِ
لَا تَحْدَارِيَّةٍ وَجَرَفَتَهَا لَسِبُونَ لِمُنْدَقَّةٍ مِنَ الْجِبَالِ . وَكَانَ هُنَاكَ دَائِمًا خَطَرُ
الْأَنْهِيَارِ الثَّلْجِيَّةِ وَالصُّحُورِ لِمُنْسَاقِطَةٍ . لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا اخْتِيَارٌ مُرِيعٌ حَتَّى
وَوَيْلٌ مِنْ غَيْرِ هَجَمَاتِ سَكَّانِ الْمُحْتَبِينَ الْعِدَائِيِّينَ الْمُبَاغِتَةِ . فَلَا غَرَّ أَنْ يَتَرَاءَى
يُرُومَانِ أَنَّ الْأَجْتِيَارَ مُسْتَحِيلٌ .

لَقَدْ حَتَفَ الْمُورُّحُونَ وَمُصَمِّمُو الْحَرَائِطِ . وَسَيِّقُونَ مُخْتَلِفِينَ حَوْلَ
طَرِيقِ اللَّيْلِ جَدَارَ مِنْهَا هَيْبَعْلُ جِبَالِ الْأَلْبِ . وَيَقُولُ الْكُتَّابُ الْمَحْدَثُونَ أَنَّهُ
اتَّبَعَ طَرِيقَ جَدَاوِرِ الْأَلْبِ مِثْلَ دُرُوءٍ وَدُورَانَسٍ وَعَيْلٍ وَكَبْرِسْتِيُونَ . أَمَّا الشَّيْءُ
نَحْمُهُمْ حَقًّا فَهُوَ أَنَّهُ نَحَجَ .

مَضَى هَيْبَعْلُ وَجَحْفَةُ الطَّوِيلُ نَهْئِمُ أَكْثَرُ مِنْ أُسْبُوعَيْنِ فِي أَجْيَازِ
الْأَسْبِ. وَكَأَمَّا أُسْبُوعَيْنِ مِنْ كِبَرِدِ الْفَرِيسِ وَالْجُوعِ الْفَتَاكِ وَالْجُهْدِ الْمَضْنِي
الْمُسْتَمِرِّ. وَمَا أَنْ تَمَّ الْوُصُولُ إِلَى آخِرِ قِمَّةٍ حَتَّى جَمَعَ هَيْبَعْلُ سَرَايَاهُ الرَّئِيسِيَّةَ
وَلَمَتَ نَظْرَ عَصِيرِهَا الْمُهَكَّةَ لِحَاذِرَةِ نَبِيِّ اسْتَبَدَّ بِهَا الْجُوعُ إِلَى الْوَادِي تَحْتَهَا.
وَقَدْ كَتَبَ لِمُورَخِ رُومَايَ لِفِي بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ بِصِفِ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ يَقُولُ:
صَاحَ هَيْبَعْلُ: «أَمَامَكُمْ بِلَادُ صَدِيقَةٍ. السُّكَّانُ سِيرَحِبُونَ بِأَكَاضِدِقَاءَ
وَحُفَّاءَ ضِدَّ الرُّومَانِ الَّذِينَ يَمَقْتُونَهُمْ. وَأَنْتُمْ الَّذِينَ قَهَرْتُمْ أَسْوَأَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ
تَفْعَلَهُ انْطِيعَةً. فِي أَصْعَبِ بَنَدٍ فِي الْعَالَمِ، لَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَحَافُوا جِيُوشًا مِنْ
أَشَدِّ الرُّجَالِ. إِنْبُعُونِي! فَالْتَصِرُ مُوَكَّدًا! الطَّرِيقُ مَفْتُوحٌ، وَالْغَنِيمَةُ هِيَ
رُومَا!»

بَقَعَتِ الْأَمَالُ وَبَدَأَ الْجَيْشُ التَّزُولَ الصَّعْبَ، حَيْثُ كَانَتْ أَيْةُ زَلَّةٍ أَوْ
كِبْرَةٍ تَعْنِي اسْقُوطَ مَنْ أَرْتَفَعَ مِثَالِ الْإِمَارَةِ عَلَى الصُّخُورِ. وَقَدْ فَقِدَ الْعَدِيدُ
مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالرُّجَالِ، وَلَكِنْ تَمَّ آخِرًا الْوُصُولُ إِلَى الْأَرْضِ، وَتَمَكَّنَ الْجُنُودُ
مِنَ التَّخْيِيمِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي رَاحَةٍ، فَعَلَى الْأَقْلَى فِي ظُرُوفِ أَفْضَلٍ مِنْ نِلْكَ
النَّبِيِّ عَرَفُوهَا مُنْذُ أَنْ بَدَأُوا أَجْيَازَ الْأَسْبِ.

وَبَعْدَ أَلْفِي سَنَةٍ مِنْ ذَلِكَ، شَجَّعَ نَابُولِيُونُ رِجَالَهُ الْمُهْلَهْلِينَ الْجِبَاعَ
لِمُتَمَرِّدِينَ بِإِلْشَارَةٍ إِلَى الْوَادِي أَنْخَصِيبِ دَانِه. وَالْيَوْمَ يَقْطَعُ السَّيَّاحُ جِبَالَ
الْأَلْبِ نَفْسَهَا طَائِرِينَ عَالِيًا فَوْقَ وَادِي الرُّونِ خِلَالَ دَقَائِقَ أَقْلٍ عَدَدًا مِنْ الْأَيَّامِ
نَبِيِّ اسْتَغْرَقَهَا هَيْبَعْلُ وَرَبْرُونُ تَحْتَهُمُ السَّهْلُ الْخَصِيبُ الَّذِي عَانَتْ جِيُوشُ
هَيْبَعْلَ وَنَابُولِيُونِ الْأَمْرَيْنِ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

رَكَنَ هَيْبَعِلُ إِلَى مُسَاعِدَةِ سُكَّانِ السُّفُوحِ . وَهُمْ عَدَدٌ مِنْ قَبَائِلِ غَالِيَّةٍ
صَغِيرَةٍ كَانَتْ . عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَرِهَتِهَا كُلَّهَا لِرُومَا . تَكُنُّ إِحْدَاهَا لِلْقَبَائِلِ
الْأُخْرَى كَرِهِيَّةً شَدِيدَةً وَادَّهَى مَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْنَعَهَا أَنْ رُومَا سَتَنْهَارُ كَثْبًا إِذَا مَا
سَاعَدَتْهُ هَذِهِ الْقَبَائِلُ . وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَشْكُ فِي ذَلِكَ لِسَبَبٍ مَقْهُومٍ . فَقَدْ
لَتَقَتْ نَتِثُ الْقَدَّاسُ فِرَقَ رُومَا الْحَسَنَةِ التَّسْلُحِ وَالْمُدَرِّبَةِ تَدْرِيبًا مُعْتَازًا . وَحِينَ
نَظَرَ الْقَبِيلُونَ إِلَى تَرَحُّلِ الْمَسْهُوكِينَ الْحَاطِعِينَ . بَدَأَ لَهُمْ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ
كَسْبُ مَعْرَكَةٍ وَاحِدَةٍ .

غَيْرَ أَنَّ لِقَاعَ وَعَرَضَ الْقُوَّةَ جَعَلَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا رَأْيَهُ . وَكَانَ لَا يَرَأَى لَدَى
هَيْبَعِلُ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ . يَتَّبِعُهُمُ الْفُرْسَانُ التَّوَمِيدِيُّونَ الْأَشِدَّاءُ
وَأَفْيَالُهُ . وَكَانَ عَلَى الْعَالِيِّينَ أَنْ يَخْتَارُوا تَبَعَ جَيْشٍ هُوَ فِي دِيَارِهِمْ . وَالْفَيَالِقُ
الرُّومَانِيَّةُ لَمْ تَقَدْ نَهَبَتْ وَلا نَهَبُوا لِنَجْدَتِهِمْ .

الْفَيَالِقُ الرُّومَانِيَّةُ كَانَتْ أَقْرَبَ مِمَّا تَوَقَّعُ الْعَالِيُّونَ أَوْ هَيْبَعِلُ . وَعِنْدَمَا أَحْفَقَ
سَيْبُو فِي مُلَاقَةِ الْجَيْشِ الْقَرطَاجِيِّ . أَعَادَ جُنُودَهُ إِلَى السُّفُنِ وَقَفَلَ رَاجِعًا إِلَى
رُومَا . وَلَمْ يَخْضَرْ بِأَلٍ مَحَلِّسِ الشُّيُوخِ الرُّومَانِيِّ إِطْلَاقًا أَنْ يَسْتَطِيعَ جَيْشُ
أَحْيَايَا الْأَلْبِ قَبْلَ حُلُولِ الصَّيْفِ . هَذَا إِذَا اسْتَطَاعَ . وَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ هَيْبَعِلَ
أَصْبَحَ فِي لُحْجَةِ الْجَنُوبِ مِنَ جِبَالِ وَتِهْ يُجْنِدُ رِجَالَ الْقَبَائِلِ الْغَالِيَّةِ . أَرْسَلُوا
سَيْبُو وَفِيَقَهُ وَمُرُومَهُمْ بِأَنْ يَحْثُلُوا لِحَظِي لَأَعْتَزِضَ سَبِيحَهُ .

وَقَدْ فُوجِيَ هَيْبَعِلُ أَيْضًا بِسُرْعَةِ الرُّومَانِ . فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْجَيْشَ الرُّومَانِيَّ
أَصْبَحَ فِي بِدَايَةِ سَيْرِهِ . عَدَّ مَكْمَلًا عِنْدَ نَهْرِ تَرِيْبِي . وَقَدْ فُوجِيَ الرُّومَانُ بِالْمُحُومِ
لَمَدَّغَتِ قَتَمَرَقَتْ صُفُوفَهُمْ وَفَرُّوا . وَنَجَا الْقَلِيلُونَ مِنْ مَلَا حَقَةِ التَّوَمِيدِيِّينَ .

حَرَّ الْقَصْدِ شِبْهُ الْكَامِلِ عَلَى الْجَيْشِ الرُّومَانِيِّ . حَمَلَ الْعَالِيَيْنِ عَلَى اتِّخَاذِ
قَرَرٍ . فَتَدَفَّعَ الْأَلُوفُ مِنَ الْمُتَرَدِّدِينَ بِالنَّصِصِ إِلَى الْحَاذِبِ الظَّاهِرِ . وَتَمَكَّنَ
هَيْبَعْلُ مِنَ الرَّحْفِ حَوِيًّا مُحْتَزًّا جِبَالَ الْأَيْبَةِ وَهَرَّ أَرِزُو . فَأَعَدَّ الرُّومَانُ عَلَى
عَحْلٍ حَيْشًا حَرًّا وَبِمَرَّةٍ الْقُصُولِ فَلَامِيُوسَ أَحْتَلَّ أَرِزُو لِأَعْتَاضِ مَسِيرَةِ
هَيْبَعْلُ نَحْوَ رُومَا .

تَبَعَ هَيْبَعْلُ زَحْفَهُ بِاتِّجَاهِ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مُجْتَازًا أَرِزُو قَبْلَ أَنْ يَتِمَكَّنَ
فَلَامِيُوسَ مِنْ رِعَامِهِ عَلَى الْقَدَلِ . الْأَمْرَ الَّذِي أَفْسَدَ مُحَطَّطَاتِ الرُّومَانِ . أَمَّا
فَلَامِيُوسُ ، إِدْرَاكًا مِنْهُ مَا كَانَ مُقَدَّرًا لَهُ أَنْ يُوَاجِهَهُ مِنْ لَوْمٍ عَنِيفٍ وَمِنْ
أَحْتِقَارِ الْجَيْشِ لَهُ . فَقَدْ سَارَعَ إِلَى تَعْقِبِ الْقَرَطَاجِيِّينَ الَّذِينَ أَصْبَحُوا عَلَى
الشَّطِئِ الشَّمَالِيِّ لِجُبَيْرَةِ تَرْسِيمِينَ .

لَا بُدَّ أَنْ الْجَانِبَ الشَّمَالِيَّ مِنَ الْبَحِيرَةِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى التَّلَالِ مِمَّا هُوَ الْيَوْمَ .
فَكُلُّ الرُّوِيَّاتِ تُوَكَّدُ أَنَّهُ عِنْدَمَا لَحِقَ فَلَامِيُوسَ بِجَحْفَلِ هَيْبَعْلِ الطُّورِ . كَانَ
الضَّبَابُ يَحْجُبُ الْمُتَحَدِّثَاتِ الْحَرَجِيَّةَ عَلَى يَسَارِهِ . أَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّهَا تَبْعُدُ حَوَالَى
كِيلُومِتْرٍ وَنِصْفٍ الْكِيلُومِتْرِ . وَيَبْدُو أَنَّ خَطَرَ الْوُقُوعِ فِي مَكْمَلٍ لَمْ يَخْطُرْ بِأَلِ
لَقَائِدِ الرُّومَانِيِّ . وَكَانَ فِي اعْتِقَادِهِ أَنَّ الْقَرَطَاجِيِّينَ مَا زَالُوا أَمَامَهُ .

لَقَدْ كَانَ مُخْطِئًا ، فَفَجْأَةً نَصَفَتْ مِنْ عَلَى شِمَالِهِ صَيْحَاتٌ مُرْعِبَةٌ وَقَعْقَعَةُ
السُّيُوفِ عَلَى نَدْرُوعِ الْمَعْدِيَّةِ وَقَدْ قَطَعَ هُجُومُ النَّوْمِيدِيِّينَ كُلَّ أَحْتِمَالٍ
لِلتَّرَاحُعِ . كَمَا أَنَّ وُجُودَ السَّحِيرَةِ عَلَى الْجَنَاحِ الْأَيْمَنِ مَعَ تَشْكِيلِ الْفِيلَقِ
الرُّومَانِيِّ . وَمَرَّةً أُخْرَى خَدَعَ هَيْبَعْلُ الْجَيْشَ الرُّومَانِيَّ . وَبِمَا كَانَ فَلَامِيُوسُ
مَحْظُوظًا لِأَنَّهُ لَاقَى فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ مَصْرَعَهُ .



كَادَ الْخَوْفُ يُصِيبُ الرُّومَانَ بِالشَّدِيدِ فَقَدْ تَضَاعَتْ جَيْشُهُمْ إِلَى عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنَ
الْهَارِبِينَ . وَقَتْلَ قَائِدِهِمْ . وَالطَّرِيقُ إِلَى رُومَا بَاتَتْ مَفْتُوحَةً ! وَالَّذِينَ نَحَوْنَا مِنْ
مُلاحِقَةِ السُّومِ بِدَيِّينَ وَتَمَكَّنُوا مِنْ لَعُودَةٍ إِلَى رُومَا . أَشَاعُوا بَيْنَ النَّاسِ قِصَصًا
كَثِيرَةً . بِأَنَّ تَصَوُّرَ وَقُوعِ حَصَارَتِهِمْ كُلِّهَا تَحْتَ رَحْمَةٍ مُتَوَحِّشِينَ . وَسَوَقُوا نِسَائِهِمْ
وَأَصْفَالَهُمْ إِلَى كَعُودِيَّةٍ . شَاعَ الرُّعْبُ بَيْنَ الْحَوَاطِينِ . فَقَدْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ دَائِمًا
أَنَّ قِيَالِقَ رُومَا الْعَسْكَرِيَّةَ لَا تُقْهَرُ . وَهِيَ دِرْعٌ يَشْعُرُونَ وَرَاءَهَا بِالْأَمَانِ . عِوَضًا
هَذِهِ الدَّرْعَ لَمْ تَعُدْ مُوَحَّدَةً .

وَرَدَحَمَتِ الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَّةَ إِلَى الْجَنُوبِ بِجُمُوعِ الْخَائِفِينَ وَالْمُسْتَرْدِينَ
وَالْمَقْرَبِينَ . يَهْرَبُونَ مِنْ حَاضِرٍ حَاضِرٍ إِلَى مُسْتَقْبَلٍ مَجْهُولٍ فَإِنَّ لَمْ يُعْثَرْ عَلَى
رَعِيمٍ قَادِرٍ عَلَى تَهْدِئَةِ الشَّعْبِ وَتَشْجِيعِهِ . كَانَتْ هَابَةٌ رُومَا مَحْنُومَةً .
وَفِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ . كَمَا يَحْدُثُ غَالِبًا فِي التَّارِيخِ . انْجَبَتِ السَّاعَةُ
الرَّحْلَ الْمَطْلُوبَ .

وَكَانَ فَايُوسُ الرَّحْلَ الَّذِي عَمِلَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الطَّارِئَةِ . وَقَدْ أَشْهَرَ بِكَوْنِهِ
الْجِنَرَالَ الَّذِي أَقْدَأَ أَحْيَرًا الْحُمْهُورِيَّةَ الرُّومَانِيَّةَ مِنْ هَيْبَعِلَ الَّذِي خَسِرَ الْبَعْرَكَةَ
الْوَحِيدَةَ الَّتِي تَقَامَلَا فِيهِ . وَمِنْ سَمِ فَايُوسَ أَشْتَقَّتْ فِي الْإِنْكِلِيرِيَّةِ صِفَةُ تُعْنَى
الْمُشْخَصَ الَّذِي يَظْهَرُ بِفَضْلِ لَثَرِيثٍ . وَقَدْ أَحْطَأَ هَيْبَعِلُ بِتَحَلُّفِهِ عَنِ الرَّحْلِ
مُبَاشَرَةً عَلَى رُومَا يَوْمَ كَانَتْ الطَّرِيقُ مَفْتُوحَةً أَمَامَهُ . إِذْ تَحَوَّلَ شَرْقًا عَلَى كُرْهِ
مِنْ قَائِدِ قُرْسِيَّةٍ الَّذِي قَالَ لَهُ مُعَايَا : « نَتَّ تَعْرِفُ كَيْفَ تَكْسِبُ الْمَعَارِكَ .
وَلَكِنَّكَ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تُعْبِدُ مِنْ ابْتِصَارَاتِكَ » . لَمْ يَكُنْ تَقَابُذُ عَلَى صَوَابٍ .
فَحَيْشُ هَيْبَعِلَ لَمْ يَكُنْ مُجَهِّزًا لِمَحَاصِرَةِ مَدِينَةٍ .

بَعْدَ ثَلَاثِ سَنَاتٍ مِنْ كَارِثَةِ تَرْسِيمِي . تَمَكَّنَ الرُّومَانُ بِفَضْلِ فَايُوسَ ،
مِنْ حَشْدِ جَيْشِ قَوَامُهُ ٨٠.٠٠٠ رَحْلٍ وَتَدْرِيهِ . وَكَانَتْ الْقَصَائِلُ الَّتِي يُرْسِلُهَا
هِنَبَعْلُ لِجَمْعِ الْعَلَفِ تَعَرَّضَ لِلْهُجُومِ بِاسْتِمْرَارٍ . وَبِمَا أَنَّ الرُّومَانَ تَمَكَّنُوا
حَيْدَكَ مِنَ السَّيْصَرَةِ عَلَى الْبَحْرِ . لَمْ يَعْذُ بِاسِطَاعَةِ الْأَمْدَادِ الْوُصُولُ إِلَى
هِنَبَعْلٍ مِنْ قَرطَحَةٍ . أَضِيفَ إِلَى هَذَا أَنَّ الْقَبَائِلَ فِي جَنُوبِ إِيطَالِيَا وَالَّتِي كَانَتْ
هِنَبَعْلُ يَأْمُلُ فِي تَجْنِيدِهَا . رَفَضَتْ الْأَنْقِلَابَ عَلَى رُومَا . لَقَدْ أُصِيبَتْ بِلَادُهُمْ
بِالْبُورِ . فَدَ كَانِ بُوْسَعِ فَايُوسَ الْأَنْتِظَارُ . فَهُمْ مِثْلُهُ مُسْتَظَرُونَ .

فِي سَنَةِ ٢١٦ ق . م . أَقْدَمَ هِنَبَعْلُ عَلَى خُطُوءِ مُفَاحِثَةِ حَاسِمَةٍ . فَقَدْ تَعَبَ
مِنْ مُحَاوَلَةِ حَمْلِ فَايُوسَ عَلَى الْقِتَالِ . وَكَانَتْ مَوْنُهُ قَدْ نَضَبَتْ تَقْرِيْبًا .
فَاسْتَوَلَى عَلَى الْحِصْنِ الرُّومَانِيِّ وَالْمُسْتَوْدَعِ الْعَنِيِّ فِي كَابِيهِ . وَهَذِهِ خُطُوءُهُ لَا
يُمْكِنُ إِبْغَالُهَا . فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَذْمِيرِ هِنَبَعْلٍ وَجَيْشِهِ .

وَنَوَكَدَ فِي إِمْرَةٍ هِنَبَعْلُ الْقَبَائِلَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي تُشَكِّلُ الْحَيْشَ الرُّومَانِيَّ .
لَمَّا وَقَعَتْ كَارِثَةُ كَابِيهِ . غَيْرَ أَنَّ فَايُوسَ اضْطُرَّ إِلَى الْعُودَةِ إِلَى رُومَا ، وَبَقِيَ
وَرَاءَهُ قَائِدَانِ رُومَانِيَّانِ احْتَمَمَ عَلَى طَرِيقَةِ حَوْضِ الْمَعْرَكَةِ .

فَانْظَرَ هِنَبَعْلُ مَعَ مُشِيرَتِهِ بَيْنَ مَجْمُوعَتَيْنِ مِنَ الْفُرْسَانِ . وَقَدْ هَاجَمَ الرُّومَانُ
لَوْسَطَ ، وَبَنَاءً عَلَى أَوَامِرِ هِنَبَعْلٍ تَرَاخَعَ الْمُشَاهَةُ . وَلَمْ يُدْرِكِ الرُّومَانُ أَنَّ ذَلِكَ
كَانَ فَحًّا آخَرَ مِنْ بَخَاحِ هِنَبَعْلٍ الْعَسْكَرِيَّةِ . فَسَرَّعَانَ مَا تَحَمَّصُوا مَعًا وَتَوَعَّلُوا
بَعْدَ قَلْبَعَدَيْنِ الْفُرْسَانِ . وَعِنْدَ إِعْصَاءِ الْإِشَارَةِ لَمْتَمَقَ عَلَيْهَا أَنْدَفَعَ الْفُرْسَانُ
لِتُومِيدِيُونَ . فَارْتَضَتْ صُفُوفُ الرُّومَانِ رَصًّا شَدِيدًا حَتَّى إِثْنَاءَ لَمَّا يَعْذُ لَهُمْ مَجَالٌ
لِلْإِسْتِعْمَالِ أَسْنِحَتِهِمْ فَلَمْ يَبْجُ مِنْهُمْ سِوَى الْقَلِيلِ .

كَانَتْ كَانِهِ كَارِثَةً . وَنَاتَ مَصِيرُ رُومَا مَرَّةً أُخْرَى فِي يَدِ هَنِيْعَل . وَلَكِنْ
كَمَا حَدَّثَ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ . أَفْسَدَ الْإِتِّصَارَاتِ فِي مِثْدَانِ الْقِتَالِ .
الْئَاسَةُ الْحَاقِدُونَ فِي الْوَطَنِ . وَلَمْ يَصِلْ إِلَى هَنِيْعَلِ مِنْ قَرْطَاجَةِ سِوَى عَدَدٍ
قَلِيلٍ مِنَ الْفِيلَةِ وَبَعْضِ التَّعْزِيزَاتِ التَّوَمِيدِيَّةِ . وَلَكِنَّهُ حَافِظٌ لِيَضَعَ سَنَاتٍ بَعْدَ
ذَلِكَ عَلَى بَقَاءِ جَيْشِهِ يَتَنَقَّلُ فِي أَنْحَاءِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْإِيطَالِيَّةِ بِكَتِيبٍ مَعَارِكٍ
صَغِيرَةٍ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ إِطْلَاقًا بِشَكْلٍ تَهْدِيدًا لِرُومَا .

وَأَسْتَرَدَّتْ رُومَا أَنْفَاسَهَا إِلَى حَدٍّ يُمَكِّنُهَا مِنْ إِرْسَالِ قِبَلَتِي إِلَى إِسْبَانِيَا
وَأَفْرِيقِيَا . أَمَّا مُرْتَبَقَةُ هَنِيْعَلِ فَقَدْ تَعَبُوا مِنَ الْحَرْبِ . وَكَانُوا يَهْجُرُونَهُ بِأَعْدَادٍ
مُتَزَايِدَةٍ . وَلَمْ تَعُدْ تَأْتِيهِ تَعْزِيزَاتٌ . وَلَمْ يَعُدْ فِي مَقْدُورِ الْأَرْيَافِ الَّتِي خَرَّبَهَا
جُنُودُهُ أَنْ تُعِدَّهُ بِغِذَاءٍ يَكْفِي رِجَالَهُ أَوْ عُلْفٍ لِأَقْبَالِهِ . لَقَدْ كَانَ لَهُ وَلِرِجَالِهِ لِفَتْرَةٍ
مُسْتَقَرٍّ هَنِيءٍ فِي مُقَاطَعَةٍ كَابُوا . إِلَّا أَنَّ الرُّومَانَ مَا لَبِثُوا أَنْ أَسْتَرَدُّوا تِلْكَ
المقاطعة .

وَهَكَذَا أَرْدَادَتْ خَبِيئَةُ أَمَلِ هَنِيْعَلِ . وَفِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ رَكِبَ حِصَانَهُ
وَأَقْتَرَبَ مِنْ أَسْوَارِ رُومَا وَرَمَى بِرُمَحٍ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ كَعَلَامَةٍ تَحَدٍّ . أَصْبَحَ
هَنِيْعَلُ الْآنَ فِي مَوْقِعِ دِفَاعٍ . وَكَانَ دِفَاعًا شَدِيدًا وَعُدُوَانِيًّا .
فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ كَانَ هَسْدُرُوبَالُ . أَخُو هَنِيْعَلِ مُحْتَفِظًا بِإِسْبَانِيَا . وَنَجَاحُهُ
هُنَاكَ يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ حَرًّا لِلزُّخْفِ وَمُسَاعَدَةِ الْقَرْطَاجِيِّينَ الْمَذْهُوكِينَ . وَبَعْدَ أَنْ أَجْتَازَ
هَسْدُرُوبَالُ الْأَلْبَ مَلَاقِيَا مُقَاوِمَةً بَسِيطَةً بَعْدَ تِسْعِ سَنَاتٍ مِنْ مُرُورِ أَخِيهِ . هَزِمَ
وَقُتِلَ فِي شِمَالِ إِيطَالِيَا . وَأَلْقَتْ دَوْرِيَّةُ رُومَانِيَّةٍ بِرَأْسِهِ بِأَحْتِقَارٍ فِي مُعَسْكَرِ
هَنِيْعَلِ .



لم يَبْقَ لِهِنِيَّعِلَ كَبِيرُ أَمَلٍ فِي دَحْرِ رُومَا . فَقَدْ نَجَحَ سَبِيوُ الْأَصْغَرُ مِنْهُ سِنًا فِي
كَسْبِ مَعَارِكِهِ فِي إِسْبَانِيَا ، كَمَا أَنَّهُ عَبَّرَ إِلَى إِفْرِيقِيَا . فَبَاتَتْ قَرْطَاجَةُ فِي خَطَرٍ ،
بَلْ إِنَّهَا وَافَقَتْ عَلَى التَّفَاوُضِ عَلَى الصُّلْحِ عِنْدَمَا عَادَ هِنِيَّعِلُ فِي عَامِ ٢٠٣
ق . م . غَيْرَ أَنَّ وُجُودَ الْقَائِدِ الَّذِي طَالَمَا انْتَصَرَ عَلَى فَيَالِقِ رُومَا بَعَثَ الْأَمَلُ فِي
قُلُوبِ الْقَرْطَاجِيِّينَ الَّذِينَ اسْتَجْمَعُوا شَجَاعَتَهُمْ مُجَدِّدًا وَاسْتَعَدُّوا لِلزَّالِ .
عِنْدَئِذٍ كَانَ عَلَى هِنِيَّعِلَ أَنْ يُوَاجِهَ غَضَبَ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَى
قُدْرَتِهِمُ الْقِتَالِيَّةِ الْوَحْشِيَّةِ فِي انْتِصَارَاتِهِ . فَقَدْ انْقَسَمَ الْمَلِكُ التُّومِيدِيُّ مَاسِينِيَسَا
إِلَى سَبِيوِ بَارْتَعَةِ آلَافٍ مِنَ التُّومِيدِيِّينَ الْمُرْعِيِّينَ الَّذِينَ رَأَوْا الْآنَ فُرْصَةً لِنَهْبِ
مَدِينَةِ قَرْطَاجَةِ الْغَنِيِّ غَنًى فَاجِشًا .

أَذْرَكَ هِنِيَّعِلُ الْخَطَرَ . فَتَقَدَّمَ إِلَى مَوْقِعِ أَسْمُهُ زَامَا وَأَوْفَدَ رُسُلًا إِلَى سَبِيوِ
يَعْرِضُ عَلَيْهِ الْفَقَاءَ . فَالْتَقَبَا . وَقَالَ هِنِيَّعِلُ : إِنَّ السَّلَامَ هُوَ لَخَيْرِ الطَّرَفَيْنِ .
فَرَفَضَ سَبِيوُ السَّلَامَ ، وَخَيَّرَ هِنِيَّعِلَ بَيْنَ الْأَسْتِسْلَامِ أَوْ الْقِتَالِ .

بَدَأَتْ مَعْرَكَةُ زَامَا بِهَجْمَةٍ شَرِسَةٍ مِنْ ثَمَانِينَ فِيلًا أَوْ بَرِيدًا ، دَفَعَهَا هِنِيَّعِلُ
أَمَلًا أَنْ يَفْرُقَ بَهَا الْفَيَالِقَ الرُّومَانِيَّةَ . إِلَّا أَنَّ الْخَطَّةَ أَخْفَقَتْ . فَقَدْ أَفْرَعَ الرُّومَانُ
الْفِيلَةَ بِقَرَعِ الصُّنُوجِ قَرَعًا صَاحِيًا وَبِإِطْلَاقِ نَفِيرِ الْأَبْوَاقِ إِطْلَاقًا نَاشِرًا عَالِيًا .
فَإِذَا بِالْفِيلَةِ تَعُودُ مُجْفِلَةً إِلَى خُطُوطِ الْقَرْطَاجِيِّينَ . وَوَاجِهَ جُنُودُ هِنِيَّعِلَ
الْمُحَنِّكُونَ مُقَاوِمَةً قَاسِيَةً مِنَ الْفَيَالِقِ الْمُسْتَقِيمَةِ ، وَكَانَ مَصِيرُ الْمَعْرَكَةِ لِفَتْرَةٍ مِنَ
الزَّمَنِ مَوْضِعَ شَكٍّ . وَفِي اللَّحْظَةِ الْحَرِجَةِ هَجَمَ تُوْمِيدِيُو الْمَلِكِ مَاسِينِيَسَا مِنْ
جِهَةِ الْجَنَاحِ . وَكَانَ ذَلِكَ تَكْنِيكًا اتَّبَعَهُ هِنِيَّعِلُ فِي انْتِصَارَاتِهِ الْعَلِيدَةِ . وَلَكِنْ
جَاءَ ضِدَّهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ .



شُرُوطُ الصِّلَحِ كَانَتْ مُدَّةً لِقَرطَاجَة فَلَمْ يُسَمَحْ لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ - الدَّوْلَةِ
حَتَّى بِالْبَقَاءِ وَالْمَنَاجِرَةِ . إِلَّا لِأَنَّ أَحَدَ شُرُوطِ الصِّلَحِ كَانَ دَفْعَ عَشْرَةِ آلَافٍ
مِثْقَالٍ مِنَ الْفِضَّةِ عَلَى خَمْسِينَ قِسْطًا . فَلَوْ نَهَبَ الرُّومَانُ قَرطَاجَة وَأَحْرَقُوهَا لَمَّا
كَانَ يُمْسِعُهَا أَنْ تَدْفَعَ الْمَالُ الَّذِي كَانَتْ رُومَا تَحْتَاجُهُ .

وَرُبَّمَا قِيلَ إِنْ هَيَبَعْلُ خَرَّبَ قَرطَاجَة إِلَّا أَنَّ الْمَوَاطِنِينَ أَقْرُوا بِأَنَّهُ عَبْقَرِيٌّ .
فَلَسَّعَ سَنَوَاتٍ سَاسَ شُؤُونَ الرِّعِيَّةِ عَلَى نَحْوِ جَيْدِ شَعَرِ الرُّومَانِ إِزَاءَهُ بِالْخَوْفِ
مِنَ الْأَرْدَهَائِ الْمُطَرَّدِ لِمُنَافَسَتِهِمُ الْوَحِيدَةِ الْخَطِرَةِ . وَاعْتَقَدُوا عَنْ حَقٍّ أَنَّهُ لَوْلَا
هَيَبَعْلُ لَمَّا اسْتَرَدَّتْ قَرطَاجَة أَنْفَاسَهَا . فَلَفَّقُوا نُهْمَةً بِأَنَّ جَزِيَةَ الْحَرْبِ لَمْ تُدْفَعْ
كَامِلَةً . وَطَالَبُوا بِاعْتِقَالِهِ وَتَسْلِيمِهِ . وَكَانَ هَيَبَعْلُ يَعْلَمُ أَنَّ مَجْلِسَ الشُّيُوخِ
الْقَرطَاجِيِّ مُؤَلَّفٌ مِنْ رِجَالٍ ضَيِّقِي الْأَفْقِ . يَحْسُدُونَ رَجُلًا عَبْقَرِيًّا .

تَرَكَ قَرطَاجَة وَأُبْحَرَ إِلَى سُورِيَا حَيْثُ كَانَ الْمَلِكُ أَنْطِيُوخُسُ فِي حَرْبٍ مَعَ
رُومَا . وَفِي بَادِي الْأَمْرِ سُرَّ أَنْطِيُوخُسُ كَثِيرًا بِأَنَّهُ يَظْفَرُ بِمَشُورَةِ هَيَبَعْلِ الْعَظِيمِ .
غَيْرَ أَنَّ الْحِظَّ خَانَهُ . فَقَدْ دُمِّرَ أُسْطُولُهُ . وَهَزِمَ الْجَيْشُ الَّذِي لَمْ يَتَّقْ بِهِ هَيَبَعْلُ
كَثِيرًا . وَخَامَرَ هَيَبَعْلُ شَكَّ فِي أَنَّ الرُّومَانِ سَيَطَالِبُونَ مُجَدَّدًا بِاعْتِقَالِهِ مُقَابِلَ
مُعَاهَدَةِ صُلَحٍ وَأَنَّ أَنْطِيُوخُسَ سَيُؤَافِقُ .

فَعَادَرَ هَيَبَعْلُ الْبِلَادَ الْجَاحِدَةَ الثَّانِيَةَ وَفَرَّ إِلَى يَسِينِيَا . وَهِيَ دَوْلَةٌ أُخْرَى
كَانَتْ فِي حَرْبٍ مَعَ رُومَا . وَبِخُدْعَةٍ مِنْ خِدْعِهِ هَزِمَ أُسْطُولًا رُومَانِيًّا بِأَنَّ الْقَى
عَلَى ظَهْرِ سُنَنِ الرُّومَانِ جِرَارًا مَلَأَى بِالْأَفَاعِي السَّامَةِ . وَكَانَ هَيَبَعْلُ آنَ ذَاكَ قَدْ
جَاوَزَ السَّيْنِ . وَأَدْرَكَ أَنَّ رُومَا لَنْ تَكُفَّ عَنِ الْمَطَالَبَةِ بِمَوْتِهِ . فَتَنَاولَ السُّمَّ
وَخَدَعَهُمْ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ .



السَّيْلَةُ التَّارِيخِيَّةُ

- | | |
|--|---|
| ٩ - الحَضَارَاتُ الْكُبْرَى : مِصْرُ | ١ - جَان دَارَكْ |
| ١٠ - الحَضَارَاتُ الْكُبْرَى : الْيُونَانُ | ٢ - مَارِكُو بُولُو |
| ١١ - فُلُورَنْسُ نَيْتَنْبِيل | ٣ - الْكَائِيْنُ سَكُوْت |
| ١٢ - هَيْبِيل | ٤ - نَابُولِيُون |
| ١٣ - الحَضَارَاتُ الْكُبْرَى :
لِقَابِكُنْجَز | ٥ - كَلِيُوِيَاتِرَا وَمِصْرُ الْقَدِيْمَةُ |
| ١٤ - الحَضَارَاتُ الْكُبْرَى : رُومَا | ٦ - تَشَارَلُو دِيكِيَتْر |
| ١٥ - الحَضَارَاتُ الْكُبْرَى : كُرِيْت | ٧ - كَرِسْتُوْفَرُ كُولُوْمْبُس |
| | ٨ - الْإِسْكَنْدَرُ الْأَكْمَرُ |

Series 561/Arabic

يُوجَدُ الْآتُ أَكْثَرُ مِنْ ١٥٠ كِتَابًا فِي سِلْسِلَةِ لِيْدِيَرْدِ بِاللْفَتْحِ
الْعَرَبِيَّةِ تَشْمَلُ عَمْدًا مِنَ الْمَوَاضِيْعِ يُنَاسِبُ مُخْتَلِفَ الْأَعْمَارِ .
أَطْلُبِ الْبَيَانَ الْخَاصَّ بِهَا مِنْ :

مَكْتَبَةُ لُبْنَانِ ، سَاحَةُ رِيَاضِ الصَّلَحِ ، بَيْرُوت